ظاهرة حزب النور المثيرة جداً

ياسر الزعاترة

ليس من العسير القول إن تطور، بل تغير الخطاب السياسي والفكري للحركات والجماعات والتنظيمات هو أمر شائع في كل الأيديولوجيات، سواء اليسارية أم القومية أم الليبرالية، وصولا إلى الإسلامية بكل أصنافها، ذلك أن المسافة بين النظرية والتطبيق ليست بسيطة بحال، ومن الطبيعي أن يحدث التطور والتغير في الخطاب تبعا لمواجهة الحقائق الموضوعية على الأرض.

في الحالة الإسلامية لم يخرج أي تنظيم عن هذا الإطار، فقد غيّرت أكثر الجماعات خطابها بين مرحلة وأخرى، بدءا بجماعة الإخوان المسلمين «أمّ الحركات الإسلامية كما تسمى»، التي انتقلت من رفض العمل الحزبي في البدايات إلى المطالبة به، ومن التردد حيال الانخراط في العملية الديمقراطية إلى القبول بأكثر شروطها، وليس انتهاء بالمجموعات الإسلامية المسلحة التي نظرت لفكرة الخروج على الدولة وتكفيرها، ثم انتقلت إلى مربع التصالح معها، وصولا إلى القبول بالانخراط في العملية الديمقراطية، مع بقاء مجموعات أخرى على ذات الطرح القديم.

لكن الذي ينبغي الإشارة إليه هو أن ما كان يجري لتلك الجماعات من تغير في الخطاب لم يكن يحدث بين عشية وضحاها، بل كان نتاج ظروف موضوعية كثيرة، فضلا عن وقوعه ضمن جدل طويل في أوساطها الداخلية، وصولا إلى بث القناعة بالتحولات الجديدة، وحدث أن أدى ذلك إلى انشقاقات أو استقالات بمستويات شتى.

حدث ذلك عبر عقود مع الإخوان، وحدث ذلك أيضا فيما يتصل بمراجعات عدد من الجماعات المسلحة في مصر وليبيا وسواهما، لكن ظاهرة التحول في حزب النور السلفي المصري تبقى الأكثر إثارة للدهشة، إذ إن الأمر تم في غضون زمن قياسي لا يمكن أن يصنف معه ما جرى في إطار التحولات الطبيعية، بقدر ما ينطوي على قدر من الانتهازية السياسية يجعل تساؤل الكثيرين عن أسبابها مشروعا، سواء ذهبوا في اتجاه مصادر التمويل الخارجية والخيارات السياسية التي فرضتها، أم في اتجاه العلاقة بالمؤسسات الأمنية الداخلية.

وحين يصل الحال بأحد رموز التيار السلفي في مصر، وهو زعيم حزب الأصالة إيهاب شيحة، إلى التساؤل عن سر تحولات حزب النور وقائده ياسر برهامي بالقول «معرفش المخابرات ماسكة عليه إيه علشان يقول هذا الكلام»، بصرف النظر عن الكلام المقصود، لأن تصريحات برهامي الإشكالية لا تعد ولا تحصى، وإن قصد هنا تبريره لقتل الأبرياء في رابعة، بدعوى أنه «لحقن دماء أكثر كانت ستسفك»، حين يصل الحال إلى هذا المستوى، فهذا يعكس حجم التحول الرهيب في خطاب الحزب.

لم تشارك المجموعة التي أنتجت حزب النور «سلفية الإسكندرية» أو الدعوة السلفية في ثورة يناير، وكانت ضدها، لأنها «خروج» على الحاكم، ولا تجوز، وكانت تحرّم الأحزاب والمظاهرات، ولكن ما إن انتصرت الثورة حتى أسست حزبها وانخرطت في العملية السياسية «الديمقراطية» التي كانت «كفرية» قبل قليل من الوقت، ولا تجوز، ولا تسأل بعد ذلك عن عدد لا يحصى من المواقف التي كانت غير جائزة ثم أصبحت جائزة بعد قليل من الوقت.

من هنا يمكن القول إن مراجعات كتلك التي تمت في الحركات الإسلامية الأخرى لم تحدث هنا، بل هو تحول مفاجئ يعكس قدرا من الانتهازية السياسية غير المسبوقة في الساحة الإسلامية، وتجلى ذلك بشكل واضح في الموقف من الانقلاب، وكذلك من الإخوان، وهو الموقف الذي يزداد عداء بمرور الوقت، وبالطبع في سياق من الهروب إلى الأمام في ظل شعور قادة الحزب بأنهم يخسرون الجماهير بشكل لافت، الأمر الذي يبدو طبيعيا.

وحين يقول برهامي إن 90 في المئة ممن قتلوا في رابعة كانوا سلفيين، فهذا يجعل جريمته بتبرير قتلهم، فضلا عن الوقوف بجانب الانقلاب الذي قتلهم، أكبر بكثير، لاسيما أنه كان جزءا لا يتجزأ من خمس جولات انتخابية كانت ضد مبررات الانقلاب، بل تفضحه على رؤوس الأشهاد.

من هنا يصعب القول إن لما جرى أي مبرر خارج سياق ما فرضه مولو الخارج الذين يعرفهم الجميع، واستحقاقات العلاقة مع الأجهزة الأمنية، والتي يُضاف إليها «بل ربما يتقدم عليها» تلك الروح الانتهازية الناجمة عن الشعور بإمكانية لعب دور بديل الإخوان بعد استهدافهم من قبل سلطات الانقلاب، وهو قصر نظر غير مسبوق بالطبع، لأن من رفض الإخوان بخطابهم المنفتح إلى حد ما، لن يقبل بحزب أكثر تشددا، أقله في الخطاب المتعلق بالشأن الاجتماعي، ولا يمكن لمن رفضوا الإخوان أن يمنحوا الحزب سوى «كوتا» محدودة ما تلبث أن تتراجع بالتدريج، ليحل الاستهداف مكان المحاباة التي فرضها موقف الحزب المساند للانقلاب.

ومن يقرأ تفاصيل الحالة المؤيدة للانقلاب من الأطراف الأخرى، يدرك أنها لن تقبل بالحزب وتوجهاته إلا في سياق مرحلي لن يلبث أن ينتهي بمرور الوقت، اللهم إلا إذا عاد إلى ما كان عليه قبل الثورة، أعني التركيز على العمل الدعوي بعيدا عن السياسي، مع خطاب «الطاعة لولاة الأمر»، وحتى هذا لن يكون مفتوحا، لأنه يمثل تهديدا للرؤية الاجتماعية التي يؤمن بها الانقلابيون وداعموهم.

إنها المرحلية التي تحكم سلوك الانقلابيين، لكن كثيرا من تجليات خطاب الفئات الداعمة له ما تلبث أن تفضح حقيقتها بكل وضوح، إذ يجري وضع السلفيين إلى جانب الإخوان في ذلك الخطاب، وإن لم يذكر حزب النور بالاسم، ولعل السبب الأبرز في ذلك هو شعور تلك الفئات بأن غالبية من السلفيين باتت أقرب سياسيا للإخوان ورافضي الانقلاب، منها إلى حزب النور.

وفي هذا السياق يرى القيادي السابق في حزب النور سامح الجزار أن الغالبية العظمى من التيار السلفي تقف خلف جماعة الإخوان سياسيا عبر تحالف دعم الشرعية، فضلا عن عدد لا بأس به من أعضاء الحزب نفسه والدعوة السلفية.

ويعتبر الجزار أن باقي التيار السلفي منضم لحزب «النور»، وعددهم قليل، ولا سيما بعد «المواقف المتتالية السيئة للحزب خلال الفترة الماضية».

والحال أن أي حزب سياسي لا يتحرك بعضلاته الذاتية، وإنما بما يتمتع به من شعبية في أوساط الجماهير، ولا يمكن القول والحالة هذه إن تلك الجماهير يمكن أن تقتنع بحزب مارس هذا المستوى من الانتهازية السياسية التي تجلت في عدد كبير من المواقف، لعل أبرزها قصة الدستور الجديد الذي روّجوا له بحماسة واضحة، وذلك رغم شطبه المادة التي وضعها الإخوان في الدستور السابق من أجل إرضاء الحزب رغم عدم قناعتهم بضرورتها.

واللافت في هذه القصة برمتها، إن كان على صعيد حزب النور أم تحولات الأحزاب السابقة، هو أن النصوص التي تستخدم في التبرير تبدو متوفرة كما يفهمونها، فالموقف السابق كانت له مبرراته «الشرعية»، والموقف الجديد قدمت له مبرراته أيضا، الأمر الذي يعني أن السياسة غالبا ما تستخدم الدين أكثر مما يحدث العكس.

في أي حال، وبعيدا عن هذا الاستخدام المبتذل للنص الديني في تبرير ما لا يبرر، فإن الوعي الجمعي للناس لا يقبل مثل هذه التحولات المفاجئة، ولا يمكن أن يتسامح مع الانتهازية السياسية، مما يجعل مقترفيها خاسرين على الصعيد الشعبي، فالأمة تنحاز للحق كما تراه، حتى وإن كان مغلوبا في معركة سياسة أو عسكرية.

عن «الجزيرة نت»

انتخاب الأسد ونموذج جزائر التسعينات

مصطفى فحص

وسط أجواء سياسية دولية وإقليمية معقدة، يصعب فيها التكهن بأي تحولات فعلية في المواقف في المدى المنظور، يستعد النظام السوري وحلفاؤه الدوليون والإقليميون إلى فرض أمر واقع سياسي في سوريا، عبر إعادة انتخاب الأسد لسبع سنوات جديدة، بعد أن ساعدوه على الصمود سياسيا اقتصاديا وعسكريا طوال فترة الأزمة، وتمكنوا من نقل وضع نظامه الميداني والسياسي أمام قوات المعارضة، من مرحلة الدفاع والتراجع إلى الهجوم والتقدم، مستغلين من جهة تخلي المجتمع الدولي عن الدعم الجدي للمعارضة السورية التي تمر بأصعب مراحلها، ومن جهة ثانية استعادة مقاتلي حزب الله والمجموعات المسلحة والعراقية، وبإشراف الخبراء العسكريين الإيرانيين، لمواقع عسكرية استراتيجية مهمة، كان قد خسرها جيش الأسد في ريف دمشق ومنطقة القلمون ومناطق أخرى حيوية داخل سوريا.

في هذه المرحلة يصبح ترشح الأسد لولاية جديدة استكمالا لفرض الأمر الواقع، في سيناريو قريب من أحداث الجزائر في تسعينات القرن الماضي، خصوصا بعدما وصل اليمين زروال إلى سدة الرئاسة، حيث قام الجيش الجزائري بحملة عسكرية شاملة على الجماعات الإرهابية المسلحة، ونجح في إخراجها من المدن الكبرى وحماية الجزائر العاصمة من دون تدميرها، وتأمين مرافق الدولة وإعادة السيطرة على أغلب التراب الجزائري، وتمكن من طرد المسلحين الإسلاميين إلى المناطق النائية والأرياف أولا، ومن ثم إلى الجبال، ونجح في تأليب الجزائريين في الأقاليم البعيدة على هذه الجماعات، وتحويلهم إلى بيئة نابذة، بعدما قام المسلحون بتصرفات خطيرة، من قتل مدنيين، ورجال شرطة، واغتصاب للنساء، وترويع للسكان.

يطمح الأسد إلى سيناريو جزائري، يمكنه من الحفاظ على دمشق العاصمة وربطها بحمص المدمرة ثم مناطق الساحل، وذلك عبر إعادة السيطرة على منطقة القلمون، والتقدم في مناطق حساسة في محيط العاصمة وريفها، مما يجعل إعادة تقدم المعارضة باتجاهها أمرا صعبا جدا، وبالإضافة إلى تعمد ترك الأرياف بيد المعارضة المشتتة، على أمل أن تتسبب الفوضى الأمنية بين فصائلها في هذه المناطق، إضافة إلى تغلغل الجماعات الإسلامية المتطرفة خاصة كما يجري في مدينة الرقة، في وقوعها تحت سيطرة «داعش»، وإضعاف الحاضنة الشعبية لها، ودفع المواطنين إلى ترجيح خيار الأسد على خيار «القاعدة» والفوضى، كما بروج النظام.

ولكن ما غاب عن بال دعاة هذا السيناريو أن الجيش الجزائري كان المؤسسة الأكثر تماسكا وانسجاما في أزمة التسعينات، وهو يملك دورتي إنتاج اقتصادي واجتماعي كاملتين، مكتناه تاريخيا من الاحتفاظ بدور رعائي منذ الاستقلال، وهو الجيش العربي الثاني بعد المصري الذي يتمتع بحاضنة اجتماعية يفوق تأثيرها تأثير الأحزاب السياسية.

أما في سوريا فقد تعرض الجيش إلى حالات انشقاق كبيرة، أدت إلى تدمير هيكليته وتسرب العدد الكبير من جنوده وضباطه وكبار جنرالاته، ولم يتبق إلا أقلية متماسكة لأسباب خاصة، مما دفع الأسد إلى الاستعانة بمقاتلين من الخارج، من أجل التعويض عن حالة الضعف العسكري والميداني خاصة، الذي اضطر بسببه النظام إلى تشكيل مجموعات من الفئة «قوات الدفاع الوطني والشبيحة»، وفي المحصلة أصبح ما تبقى من الجيش السوري في نظر المعارضة الشعبية السورية والغالب المواطنين أداة استخدمها الأسد في قتل السوريين وتدمير سوريا، وكأنه جيش تنحصر مهمته في الدفاع عن النظام ورأسه، بالتجويع والتدمير الشامل، وليس عن الشعب، بعكس ما كان بإمكان الجيش الجزائري أن يدعيه، لأنه اقتصر في معاركه على المسلحين.

أما ما ارتكبته بعض القوى التي ادعت المعارضة بالتنسيق مع النظام ولصالحه من الجرائم فقد يكون أقل من الجرائم التي ارتكبتها الجماعات المسلحة في الجزائر ضد المدنيين، غير أن الشعب السوري يختلف عن الشعب الجزائري، في أنه يرى أن ارتكابات النظام وحلفائه تفوق ارتكابات بعض المعارضة السورية، وهذا ما سيشكل عائقا شعبيا قويا ضد حكم بشار الأسد، حتى لو نجح باكثرية 99.99 في المائة من المقترعين والممتنعين كما عودونا.

عن «الشرق الأوسط» اللندنية

لعبة القوة الذكية التي يمكن أن تساعد الولايات المتحدة في السيطرة على بوتين

دينيس روس

تعتبر القوة الذكية من المفاهيم الهامة ومن أكثر أنواع القوة التي ينبغي على الولايات المتحدة ممارستها الآن وعلى الفور.

فالقوة الذكية تمزج بين القوة الناعمة المتمثلة في الجاذبية الثقافية والاقتصادية والاستخدام الحكيم للضغط عند الضرورة. وفي عالم اليوم، حيث أصبحت المعلومات سريعة الانتشار والاقتصادات مترابطة، يبدو أن ممارسة القوة الذكية من شأنه أن يضيف إلى نقاط القوة الأمريكية.

ولكي تعمل القوة الذكية بفعالية، يحتاج الآخرون إلى رؤية مدى الحماقة في استغلال القوة الخشنة. ومن السبل للغاية أن هذه الرسالة لم تصل على ما يبدو إلى فلاديمير بوتين وبشار الأسد وآية الله علي خامنئي. فبالنسبة لبوتين، يعتبر الترويع أمرا عاديا عندما يتعلق الأمر بالدول المجاورة ذات الأقليات الروسية. وحيث يلوح التهديد بالغزو في الأفق، يعتقد السيد بوتين أنه يحقق مكاسب على الأرض ويشك في مدى صدق عزم الولايات المتحدة والأوروبيين في أن يجعلوه يدفع ثمن ذلك.

وفي سوريا، تجد بشار الأسد هو الآخر يعتقد أنه يحقق مكاسب على الأرض. فقد دعا لإجراء انتخابات في 3 يونيو ليكسي بثوب الشرعية نظاما دأبه قتل شعبه وابتكار طرق جديدة لانتهاك الأعراف الدولية وقواعد الحرب. ويبدو أن ذلك يؤتي ثماره، حيث تزداد ثقة الأسد بأن الدفة قد تحولت لصالحه: إنه يعلم أن الروس يدعمونه بالسلاح والإيرانيون جميعهم معه في سوريا.

بالنسبة لإيران، فإن سوريا على وشك تغيير ميزان القوى في المنطقة. ويرى السعوديون وغيرهم سوريا من ذات الزاوية ولكنهم أيضا لا يرون أي تردد من جانب الروس والإيرانيين في استخدام القوة الخشنة للتأثير على ذلك التوازن. ومع ذلك، نجدهم يتساءلون بشأن الولايات المتحدة. فهل بإمكانها تغيير تصور أصدقائها في المنطقة؟ وهل بإمكانها تغيير تصور الروس والإيرانيين أيضا؟

نعم يمكنها ذلك، شريطة استعدادها لإثبات أنها مستعدة للمنافسة في هذه المنطقة واستخدام القوة الذكية. فمن خلال بدء إدارة أوباما بتقديم المساعدة الفتاكة لمجموعات مختارة من المعارضة السورية تكون هذه الإدارة قد اتخذت بالفعل خطوة من شأنها بعث تلك الرسالة. وسوف يلزم عمل الكثير إذا كان الهدف هو محاولة تغيير ميزان القوى على الأرض. فروسيا وإيران بحاجة لأن ترى أن مساندتهما لسوريا سوف تزداد تكلفة إلى أن يصبحوا مستعدين للقبول بحل سياسي حقيقي.

هناك خطوة ثانية يمكن للولايات المتحدة اتخاذها وهي أن تبدأ باعتراض شحنات الأسلحة الإيرانية التي تهرّب سرا في جميع أنحاء المنطقة. فقد قام الإسرائيليون بذلك «بمصادرتهم سفينة إيرانية تحمل أسلحة إلى غزة»، وإن فعلت الولايات المتحدة الشيء نفسه فسوف تبعث برسالة إلى الإيرانيين مفادها أنه مثلما بإمكانهم التفاوض حول الأسلحة النووية بالتزامن مع محاولة توسيع نطاق تواجدهم في جميع أنحاء المنطقة ونفوذهم فيها، فبإمكان واشنطن أيضا أن تتابع المحادثات وتجابه جهودهم تلك في الوقت نفسه.

هناك خطوة ثالثة يمكن أن تتمثل في تقديم عرض للسعوديين والإماراتيين ببدء مناقشات التخطيط لمواجهة الطوارئ. ومثل هذا العرض سوف يبعث رسالة هامة بشأن جدية الولايات المتحدة في استخدام القوة مع أصدقائها إذا لزم الأمر.

ولا تعني أي من هذه الخطوات الدفع بالجنود على أرض المعركة. فجميعها سوف تبعث رسائل مفادها أن الولايات المتحدة مستعدة لزيادة التكاليف التي يتكبدها الروس والإيرانيون لأن ما يفعلونه ربما يزيد، وبشكل يدعو للمفارقة، من فرص العمل الدبلوماسي مع كليهما. ويعمل السيد بوتين، على وجه الخصوص، حينما تبدو المخاطر قليلة؛ وإذا أظهرت واشنطن أنها سوف تزيد من تنافسها في الشرق الأوسط فقد يؤثر ذلك على حساباته بشأن مدى وسرعة رغبته في اختبار صدق الولايات المتحدة في تحذيراتها بشأن أوكرانيا.

وهناك شيء واحد يجب مراعاته بشأن القوة الذكية: أنها تكون أكثر فعالية في النهاية عندما تدعمها قوة خشنة.

عن «معهد واشنطن»